شخصية الهدهد في القرآن الكريم
دراسة في تحليل النص

الاستاذ المساعد الدكتور ضمير لفتة حسين
جامعة البصرة -كلية الآداب - قسم اللغة العربية

ملخص البحث باللغة العربية :

يهتم هذا البحث بتحليل النص القرآني عبر الافادة من المعطيات اللغوية ، ويطرح منهج تحليل النص بوصفها منهجا قائما مستقلا عن منهجي التفسير والتأويل بما يعتمده من الاليات وما يهتم به من الاهداف، وقد سلط البحث الضوء على مشهد من مشاهد القران الكريم والذي ورد فيه ذكر الهدهد في قصته مع النبي سليمان (عليه السلام) . وتهدف الدراسة الى بيان زوايا خفية في القران الكريم لم يتطرق لها منهج التفسير في كتب التفسير جميعا، والتي من شانها ان تضيئ بعض آفاق فهم القران الكريم .

وكذلك هي تهدف الى بيان قدرة اللغة على تحليل النصوص وبيان دلالتها التي قيلت في زمن بعيد عن زمننا واستنطاقها لمعرفة ظروف التكلم من زمان ومكان واحوال كل من الباث والمتلقي في النص. وتعتمد الدراسة منهج التحليل اللغوي حصريا ، بعيدا عن علوم القرآن ، والروايات التفسيرية ، فهو يقف عند كل ظاهرة لغوية في مستويات اللغة المتعارفة ويحللها ويستبين منها ظروف التكلم ودلالات النص وأحوال الباث والمتلقي .

المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعجز أرباب الفصاحة وسلاطين البلاغة بالقرآن، وتحدّى به أساتيذ البلاغة والبيان

أن يأتوا بسورة من مثله على مرِّ الدهور والأزمان ، فتحيرت بطلاوته عقول المنكرين ، وسجدت لحلاوته أذواق المتكبرين ، والصلاة والسلام على نبيه الأمين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين وبعد...

ما تزال مسألة الدراسات القرآنية محطَّ أنظار الدارسين، ومحور اهتمام الباحثين منذ فجر الرسالة وإلى يومنا هذا ، وقد تنوعت معظم هذه الدراسات بين الدراسة النظرية والدراسة التطبيقية أو جمعت بينهما معا ، وذلك بعرض آيات الذكر الحكيم وتحليلها ، وبيان عناصر الجمال الفني فيها.

فمن الباحثين من بحثَ الالفاظ والتراكيب القرآنية لبيان الأسرار اللغوية فيها وطرق الوصول الى المعاني التي تضمنها النص، ومنهم من نظر الى الآيات القرآنية بوصفها ميدانا لتطبيق القواعد اللغوية عليها. وقد تنوعت هذه الدراسات بين ما يسمى بإعراب القرآن وتفسيره ، وتأويله وتحليله ، وغير ذلك من زوايا البحث لفهم النص القرآني . وما سنعتمده من هذه المناهج في فهم القرآن الكريم هو تحليل النص ، إذ سنقف في هذا البحث عند مشهد قرآني بديع في آيات من سورة النمل من الآية (٢١) إلى الآية (٢٤) ، وسيكون بطل هذا المشهد هو (الهدهد) الذي ورد ذكره في القران الكريم في درج ذكر قصص النبي سليمان (عليه السلام) . يهتم هذا البحث ببيان تقنيات بناء المشهد القرآني في جانبه العملي مركزا الحديث حول تقديم القرآن شخصية الهدهد عبر سبك نص كلامه سبكا يُعبّر عن مكنون شخصيته والحالة النفسية والهيئة والوضع الذي هو فيه عند اطلاقه هذه النصوص، بل حتى في الزمن خارج هذه النصوص.

آليات الدراسة:

بوصف المنهج هو التحليل فسيكون عمدة اجراء الدراسة هو تقصي المعطيات اللغوية التي تُظهر دلالة النص واضحة جلية فتغنيها عن الرجوع الى العلوم العقلية وعلوم القران الكريم أو علم الحديث لسرد الروايات التفسيرية التي وردت عن النبي (ص).

غايات الدراسة :

ومن أبرز ما يهدف له البحث هو

بيان منهج التحليل بوصفه منهجا مستقلا متكاملا او شبه متكامل يقف جنبا الى جنب مع منهج التفسير ليكون كفيلا ببيان المعاني الدقيقة التي تَحمَّلها النص والتي يغفلها عادة منهج التفسير بسبب اختلاف غايات كلٍّ من المنهجين وآليات العمل فيهما.

وقد تناول بيان الركائز الاساسية التي بنيت عليها شخصية الهدهد في هذا المشهد

والتي في جملتها تقوم على :

١- قوة التركيز ودقة الملاحظة

٢-الشمولية في الآراء والاحكام

٣-قوة الشخصية والشعور بأهمية الذات.

فتوزعت هذه الركائز على مباحث هذه الدراسة فكان المبحث الاول بعنوان:

(قوة الانتباه عند الهدهد ودقة الملاحظة) .

اما المبحث الثاني فكان بعنوان : (الشمولية في آراء الهدهد وأحكامه) وجاء المبحث الثالث بعنوان (قوة الشخصية عند الهدهد والشعور بأهمية الذات)

توطئة :

الفروق بين مصطلح التفسير ومصطلح التحليل:

يختلف مصطلح التفسير عن مصطلح التحليل في جملة أمور أهمها آليات العمل والهدف منه ، إذ يعتمد المفسر البيان الاجمالي لمعاني ألفاظ الآيات دون الفحص الدقيق للنسيج اللغوية الذي تشكلت منه الآية ، إذ نجد أغلب المفسرين يهتم ببيان معاني الكلمات بأصل وضعها اللغوي ثم يرجع إلى أسباب النزول لبيان المعنى العام الذي حملته الآية، في حين يعتمد منهج التحليل في عمله على فحص النسيج اللغوي وتفحص العلاقات التي تربط تراكيب النص انطلاقا من العلاقات التي تربط الكلمة بما بعدها وما قبلها ، وصولا الى العلاقات التي تربط الجمل ببعضها انتهاء الى السمة البارزة في ترابط الفقرات التي تشكل منها النص.

وإذا ما ذهبنا الى الغايات نجد أن التفسير يهتم ببيان المعاني التي حملها النص أي غايته الاجابة عن التساؤل بماذا قال النص؟

أما التحليل فغايته بيان طرائق أداء

الالفاظ الدالة على التي تأتي للاشارة الى التناول بكيف قال النص؟

وبهذا يكون التفسير مغايرا للتحليل في الغايات ومجريات العمل .

ولمزيد من التفريق لابد من بيان كل من المصطلحين في اللغة والاصطلاح بشيء من الايجاز .

التفسير لغة : ورد في لسان العرب : التفسير من البيان ، وفسر الشيء يُفسِره بالضم والكسر فسرا ، وفسّر آياته ، والتفسير مثله الى الابانة ، وقوله تعالى «واحسن تفسيرا» الفسر كشف المعنى ، والتفسير هو كشف المراد من اللفظ المشكل[1] .

وقال ابن فارس : فسر : الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء ، وايضاحه من ذلك الفَسْرُ، يقال : فسرت الشي ، وفسرته . والفسر والتفسير نظر الطبيب الى الماء وحكمه فيه[2] .

التفسير في الاصطلاح :

ورد لفظ التفسير في الاصطلاح القرآني في مقطع واحد في سورة الفرقان في قوله تعالى :»ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا» الفرقان ٣٣

وقد تعددت تعريفات مصطلح التفسير وتنوعت الى حد كبير ، ومن المؤكد ان التفسير بالمأثور اقرب الى مراد الحق سبحانه واكثر نفعا ، واما التفسير بالراي فلا يمكن ان نجزم انه مراد الحق سبحانه من الآية ، فقد اضيف لفظ تفسير الى اسم التفضيل (احسن) في قوله المتقدم «واحسن تفسيرا» ولو تأملنا في قوله تعالى « جئناك بالحق « وعطفه على « أحسن تفسيرا» لتأكد لنا ان الآية تؤكد هوية المفسر وتحدد مرجعيته المعرفية في العملية التفسيرية ، واذا بينت الآية المباركة الرافد الوحيد الذي يجب ان يستلهم منه المفسر اصول العملية التفسيرية ، واسسها فقد قال «جئناك « وحصره بأسلوب النفي والاستثناء المفرغ بأنه حق اشارة الى ما لم يأت عن السماء من تأسيس معرفي للتفسير فهو مجانب للحق ، وهو باطل بضرورة قوله تعالى «الحق» ومن ذلك ان من يجتهد في القران برأيه ويدعي انه مراد الله سبحانه وتعالى فهو كاذب على الله ، وهو باطل بضرورة قوله من الرأي ، ولابد ان يأخذ مفسر القرآن تفسيره عن الله سبحانه ونبيه «صلى الله عليه واله وسلم» ، واهل بيته «عليهم

السلام» وأصحابه الخيار المنتجبين فهو امتداد لتفسير السماء غير مستقل عنه فكل من بحث في علم التفسير يقدم تعريفا لهذا المصطلح ، ومن ابرز التعريفات هي :

تعريف الجرجاني : عرفه بقوله توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها ، والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة [٣] .

تعريف السيوطي : هو علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القران ومدلولاته ، وأحكامه الافرادية والتركيبية ، ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب[٤] .

والراجح انها محاولة عقلية تسعى الى ايضاح افكار النص المتبادرة ، والكشف عن المعاني المباشرة التي يعبر عنها النص[٥] ، ومن هنا نفهم ان علم التفسير يهتم ببيان معاني الالفاظ ومن ثم ربطها بما بعدها وبما قبلها من الآيات ، وعقد القرائن اللغوية لبيان الدلالات العام للألفاظ التي يرمي النص القرآني اليها فعلم التفسير يلحظ اسباب النزول والحوادث التي تنزل الآية بسببها والمكان الذي نزلت فيه ، وهناك الكثير من الكتب التي الّفت تحت عنوان «تفسير القران الكريم» .

التحليل لغة :

وردت مادة (حلَّ) في لغة العرب بمعنى : (حلَّ العقدَ يحلّه حلًّا وكل جامد اذبته فقد حللته وحلَّ بالمكان حُلولا – إذا نزل به – وحلَّ الدين محلاً وقالوا – حلَّ من احرامه واحل من احرامه احلالا – والحلُّ خلاف الحرم – ومحلُّ القوم ومحلَّتهم موضع حلولهم – ويقال فعل ذلك في حِله وفي حرمه أي في وقت احلاله واحرامه والحِل والحلال .[٦]

التحليل في الاصطلاح :

يعد منهج التحليل من المناهج الحديث التي ظهرت مؤخرا ، فقد أقترن بالدراسات التي عالجت النص بوصفه وحدة متكاملة ، وهو منهج لدراسة اللغة والادب في النص دراسة تحليلية من الجوانب الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية والاشارية ، وهو منهج لغوي يبدأمن اللغة واليها ينتهي [٧] .

المبحث الأول:

قوة الانتباه عند الهدهد ودقة الملاحظة :

ابتدأ الهدهد وصفه للمملكة بكلمة «احطتُ» والاحاطة تعني العلم

بالشيء مع الوقوف عليه وهي الطباق السلب ، و(أحاط بالأمر إذا أحدق به من جوانبه كله . وقوله تعالى :(الله من ورائهم محيط) أي : لا يعجزه أحد قدرته مشتملة عليهم . وحاطهم قصاهم وبقصاهم : قاتل عنهم . وقوله تعالى : (أحطت بما لم تحط به) أي : علمته من جميع جهاته . وأحاط به : علمه وأحاط به علما . وفي الحديث : أحطت به علما أي : أحدق علمي به من جميع جهاته وعرفه).[٨]

وقد بدأ الهدهد كلامه بهاتين الكلمتين «احطت» «لم تحط» وهما يشكلان محسن بديعي أخذ دوره البياني في البناء القصصي في القرآن الكريم على اتم وجه ، فانه شمل النبي سليمان (عليه السلام) فاستثاره حتى اخلص نفسه للموقف والاستماع لقول الهدهد ، وشغله عن غضبه والتفكير في عقوبته ، كذلك شدَّ المتلقي للقرآني الكريم خارج القصة، فيتجلى خطاب الهدهد بصفته ضرورة معنوية ، وفنية ، وترغيب للنبي سليمان (عليه السلام) في الاستماع له وقبول اعتذاره ، وهو يشد المتلقين في زمانه وكل زمان.

وكذلك تظهر قوة الانتباه في قوله تعالى « إني وجدت امراة تملكهم» النمل ٢٢ ، فقد تضمن هذا الكلام ملاحظتين دقيقتين هما :

١ – ان الحاكم امرأة ، فهو يدل على انه ملتفت الى قضية عرفية واقعية سادت في عصره وزمانه ، وما دخل في احاطته ومعلوماته كون الحاكم لابد ان يكون رجلا .

٢ – في قوله تعالى : «تملكهم « النمل ٢٣

تمثل هذه اللفظة ملاحظة جديدة اضافها المتكلم (الهدهد) فلم يقل ان امرأة ملكة عليهم ، او حاكمة وانما قال : « تملكهم « والملك هنا يعني ان سكان المملكة بمثابة العبيد لدى هذه الحاكمة ، فعي تملكهم كما تملك الاشياء المادية الاخر .

ومن مظاهر قوة الانتباه عنده في قوله: «وأتيت من كل شيء» النمل ٢٤

جعل الفعل مبني للمجهول لبيان عظمة جهة الفاعل ، وقد يكون انه اراد الاشارة الى انها لحكمتها تخفي مصادر قوة مملكتها و دولتها ، الامر الذي يعد اليوم من أساليب تحصين الدول .

و في قوله تعالى «من كل شيء»
تفيد (من) هنا التبعيض ، وأفاد تركيب (كل شيء) العموم ، والمراد به المبالغة في كثرة ما اوتيت به من نعم الدنيا وسعة الملك ، فالملك كله يرجع لله سبحانه وتعالى ، وهذا يعني تنوع آفاق القوة والطاقة في هذه المملكة .

وفي قوله : « ولها عرش عظيم»
تمثل هذه العبارة انتقالا في توصيف النظر الى هذه الدولة من النظر بصورة عامة ،الى النظر الى ابرز معالم تلك الدولة وهو عرش الملكة ، إذ وصف الهدهد ذلك العرش للنبي سليمان ع ا، ولعل هذا العرش كان اعظم من عرش النبي سليمان (عليه السلام) بدليل قوله تعالى: (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ) (ص : ٣٤) ؛ لأن الهدهد كان قد رأى عرش النبي سليمان (عليه السلام) ، ومع ذلك يصف عرش هذه المملكة بأنه عرش عظيم ، فأفهم الهدهد النبي سليمان (عليه السلام) بكلامه هذا ان لا ينبغي ان تتصور ان جميع العالم خاضع لحكومتك ؛ بل هناك ملوك أو حكومات اخرى غير حكومتك .

وفي قوله : (وجدتها وقومها) إذ حمل قوله هذا ملاحظة دقيقة مهمة جدا مفادها أن الملكة والشعب على دين واحد وهذا يمثل عامل قوة وانسجام في هذه المملكة إذ يشكل الحكم في وعي الشعب جانبا من القداسة والاحترام .

وهو يمثل ايضا صمام أمان لاستقرار المملكة وثباتها في سياستها وإدارتها وتطبيق القوانين فهو كفيل بعدم التمرد والعناد للملكة والقوانين والانظمة التي تصدرها .على العكس تماما إذا ما كانت الملكة على دين مغاير لدين الشعب أو أنها تمثل جهة كافرة بدين الشعب فإن ذلك يسبب عدم استقرار الحكم والنظام ولن تأمن تلك المملكة من الحروب والدماء والمعارضة كما في المجتمع الفرعوني .

ومجتمع أصحاب الكهف وغير ذلك من القصص القرآنية التي كان فيها دين الحاكم مغايرا لدين الشعب .

وفي قوله تعالى: « وزين لهم الشيطان» النمل ٢٤
تعني هذه الملاحظة ان هناك اعجاب من هؤلاء بعقيدتهم ، وعبادتهم وهناك قناعة تامة بهذه العبادة ،

ولم تكن نظاما سطحيا من التدين بسبب تزيين الشيطان لهم بالعبادة ، فهي عبادة مقنعة بالنسبة لهم وهذا يشكل صدَّ المجتمع عن تصور خطأ العبادة ، أو بطلان هذه الآلهة .

المبحث الثاني : الشمولية في آراء الهدهد وأحكامه

التفكير الشمولي :

لقد كان الهدهد في حال من التفكير الشمولي وبعد النظر في الاحاطة بالأشياء من حوله فكان ينظر الى صغائر الامور في الوقت الذي يحيط فيه بكلياتها ويرجع هذه الصغائر وجزئياتها إلى تلك الكليات ، فقد وصف لنا المجتمع والمملكة بوصف شامل معتمدا على نفسه في ذلك الوصف ، ومن ذلك في قوله :(وجدت امرأة تملكهم) إذ نسب الفعل الى نفسه والذي يدل على ذلك (تاء الفاعل المضمومة) [٩] ، وأن المجتمع كان تحت سلطتها بأكمله ، فكلمة (تملكهم) فيها اشعار ان المجتمع كله كان تحت سلطة هذه الملكة ، فلم يكن اي اعتراض عليها ، فالظاهر في هذه الآية ان الحكومة كانت حكومة مقنعة للشعب ، ويبيَّن صفة هذه الحكومة في كلمة (يعبدون) والحاكم هنا يمتلك صفة رسمية ، ودينية كما سبقت الاشارة ان الناس يخضعون لدين ملوكهم . ومن ذلك في قوله تعالى : «وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله»

فقد سجل الهدهد ملاحظة دقيقة في رصد طبيعة العبادة وجهة العباد أو معبود هؤلاء القوم ، فقد حدد طبيعة العبادة بأنها السجود ولم يذكر غيرها فلم يقل أنهم يسجدون ويركعون أو غير ذلك من الافعال العبادية التي تفعلها الامم على اختلاف أديانها. وحدد الهدهد ان الشمس كانت مقدسة لديهم فهذه العبودية كانت للشمس وأنها تمثل حالة من الوعي الجماعي بالدين .

في قوله (وجدتها وقومها يسجدون للشمس) أفرد الملكة عن شعبها وقد يكون أراد منه الاشارة إلى أن نظام الحكم كان نظاماً ملكياً دينياً ، فالملكة تمثل جهة مقدسة عند شعبها ، وقد عبر عن الاستقراء التام في إتباع القوم دين الملكة ، والاستقراء كما هو معلوم يعني كل استدلال تجيء فيه النتيجة اكبر من المقدمات

التي اسهمت في تكوينه [١٠] .

ومن خلال هذا الاستقراء بيَّن النظام الديني في هذه المملكة في قوله هذا فقد بيّن اجماع المجتمع على عبادة الشمس وهذه من نظراته الشمولية للمجتمع.

وفي قوله : « وزين لهم الشيطن» يتبين الحالة التي هم عليها من التمسك بدينهم فهم يرون ان عبادة الشمس بالنسبة لهم جميلة ومحببة الى نفوسهم وذلك بسبب الشيطان الذي يجمّل المعاصي في عين الانسان ؛ فيراها الانسان اجمل من أي شيء آخر ، فيعصي ربه ، وهذا ما حدث مع سكان هذه المملكة .

وفي قوله : « فصدهم عن السبيل» نجد بيانا لطبيعة الجهل السائد في هذا المجتمع بعقيدته الفاسدة ، وهي عبادة الشمس ، وانه من النوع المركب في الجهل ، والذي يسبب صعوبة في هداية هذا المجتمع ، والملاحظة على كلامه أنه يضع الخطوط الاولية لمشروع اصلاح هذه المملكة فبدأ ببيان المشكلة ومعوقاتها في قوله :»يسجدون للشمس» فقد بين ان هؤلاء القوم يسجدون للشمس من دون الله ، وقد استغرب من هذه الحالة العبادية الغريبة ؛ لأنه يعيش في مجتمع ديني وحكومة دينية سماوية، وهي حكومة النبي سليمان (عليه السلام) فعجب لهؤلاء القوم يسجدون للشمس والله تعالى اعلى من كل شيء ، وهو الذي خلقهم وهم لا يعبدونه ، حيث يبين ذلك في قوله : «الا يسجدوا لله» والعائق الاخر يبينه قوله تعالى «زين لهم الشيطان « وهذا العائق مهم جدا في خطة الاصلاح.

المبحث الثالث : قوة الشخصية عند الهدهد والشعور بأهمية الذات

قوة الشخصية عند الهدهد:

لقد تضمن خطاب الهدهد بيانا واضحا ، لقوة شخصيته وتثبته في ملاحظاته ، واحكامه التي سجلها عندما استطلع اخبار مملكة سبأ ، وما تتمتع به من استقرار نفسي في بناء تصوراته مما سيشاهده ، وقد تمثلت ملامح هذه القوة والتثبت في مواطن عدة في خطابه ، نقف عندها وقفة تحليلية ؛ لتفصيل الدلالات التي حملها خطابه عن شخصيته وهي كالاتي :

لم يتضمن خطاب الهدهد لفظا يدل

على التشكيك وانما كانت الفاظه كلها تدل على القطع واليقين ، وأنه لم يعتمد فيما سيقول على غيره أو على مصدر غير دقيق.

ومن ذلك قوله «أحطت»[11] ، والاحاطة تعني العلم بالشيء ، فالإحاطة على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، وذلك لاستمالة النبي سليمان(عليه السلام) لتصديقه[12]، وهنا اعتمد الهدهد على ذاته حين اسند الفعل الى نفسه بين ذلك تاء الفاعل المضمومة ، وهي للمتكلم فلم يقل علمتُ ،او سمعتُ بل ؛ قال: أحطتُ ، أي أنه احاط بهذا العلم بجهوده دون مساعدة احد .

وقوله : بنبأ يقين ، فالنبأ هو الزيادة التي يضفيها وصف الحال[13] ، وهي تفيد معنى القوة لان هذه المادة تدل على الارتفاع والنتوء ، والبروز والظهور ، فجاء وصف النبأ تحقيقا لقوته بـ (اليقين)[14] ، فوصفه بالمصدر للمبالغة ليعلم النبي سليمان (عليه السلام) ان ما جاء به من خبر بلقيس هو عين الحقيقة ليطمئن الهدهد نفسه بصدق ما جاء به ، ويطمئن النبي سليمان (عليه السلام) لكلامه فيقبل عذره ويقتنع بقبول سبب غيابه[15]

« اني وجدت»

اسناد الخطاب بعدد من المؤكدات ، فقد تضمن كلامه اداة التوكيد (ان) وأضافها الى ضمير المتكلم (الياء) وبذلك اسند الكلام المؤكد الى نفسه ، فقال: (اني) أي أنه هو الذي أحاط بهذا العلم وهذا يدل على شخصية قوية ، وأن ما جاء به هو عين الحقيقة ، ولا شك أن تأكيد الخبر بـ (ان) للاهتمام بمضمونه ، فطائر صغير يأتي بمعلومات كانت غائبة عن النبي والملك سليمان (عليه السلام) ، ويخاطبه بقوة شخصية وجرأة كاملة «احطت بما لم تحط به»

ومن معالم شخصيته في خطابه ،انه لم يعتمد في بيانه لهذا الخبر على مصدر خارج حواسه، فقد وردت في خطابه الافعال (أحطت جئتك، وجدت، وجدتها) ، وهذه الافعال كلها أسندت إلى الضمير الدال على المتكلم وهو الهدهد ، بمعنى ان الهدهد جاء بهذه الاخبار دون اي مساعدة فهو الذي (وجد ، ورى ، وجاء) وهذا يدل على شخصية كاملة وقوية .

ظهور الانية :

لا ينفك المخلوق من استشعار ذاته

وجلب الخير اليها ، ودفع الضرر عنها ، في كل حركة او سكنة ، وهذا شأن كل مخلوق اذ كل الخلائق تسير في مدار انيتها وحبها لذاتها ، فكل مخلوق يسعى في كل حركاته وسكناته الى جلب النفع لذاته ، ودفع الضرر عنها فهو لا ينفك عن إظهار انيته في خطابه قصد أم لم يقصد .

وهذا ما نلمحه في خطاب الهدهد الذي وجهه إلى النبي سليمان (عليه السلام) ،وهذه الانية تبرز في عدة مواطن نقف عليها محلّلين مبيّنين دلالات كل واحدة منها.

في اول خطاب الهدهد ابتداه بقوله (أحطت) فنسب الفعل اليه دون اي مؤثر خارج ذاته ، اذ جاء الفعل مستندا الى تاء الفاعل التي تدل على الشخص المتكلم حصرا ، وبذلك لم ينسب الفعل الى جهة خارجية ، ولم يلحظ الفضل لاحد في تحصيل هذه المعرفة فلم يكن له مستشارا ، او شخصا يهديه في ذلك او يعلمه تلك المقدمة وفي دلالات الفعل (احطت) ما يعزز هذا الامر ويظهر جليلا اعتزاز هذا المتكلم بذاته وقدراته واعتماده عليها .

جئتك : في هذا النقل برزت شخصية الهدهد واضحة في استعماله ، لهذا الفعل مستندا الى الضمير (التاء) ، وهي فاعل هذه الجملة وظهور هذه الانية عبر هذا الاستعمال كما تقدم ، حيث اعتمد هذا المتكلم على ذاته مرة ثانية في اداء الافعال فهو يمثل بذلك الشخصية العصامية ، والتي تعتمد على ذاتها في كل شيء .

ولو تتبعنا الجملة وتفحصناها جيدا لوجدنا ان المفعول به هو (الكاف) الذي يدل على المخاطب والذي يشكل في هذه الجملة رمزا (للآخر) الذي وجه الخطاب اليه ، والذي يجعل ذاته مستقلة امام ذات الملك الجبار سليمان عليه السلام ، فقد رفع كل عبارات التعظيم والاجلال التي اعتاد عليها من يخاطب الملوك والانبياء ؛ بل رفع كل عبارات التواضع التي يتشبث بها (عامة) من يتكلم بها من هو في موضع ادنى مع من هو اعلى مقاما منه ، وهذا يدل على عظيم ما يشعر به هذا الهدهد من اعتزاز بالذات ، وثقة بالنفس .

«اني وجدت» : في هذا التركيب نجد ظهورا واضحا لحالة الانية التي يستشعرها هذا المتكلم ، فقد ركب خطابه من جملة اسمية افتتحها

بضمير الشأن للمتكلم (انا) الذي يدل بلا شك على اداة المتكلم ، واكده بعد ذلك بالضمير (التاء) بالفعل (وجدت) فجعل الفعل متوسطا بين ضميرين دالين على ذاته وبيانا على عدم اشراك غيره في انجاز هذا الفعل مع انه كان بالإمكان ان يكتفي بالقول (وجدت) ويعطفها على الافعال المتقدمة ففيه ما يكفي من البيان على انه من قام بذلك الفعل اعني الضمير (التاء) ولكنه عاد الى تعزيز هذه الفكرة في ذهن المخاطب بإيراد الضمير في صدر الجملة بقوله (اني) .

«وجدتها» :

لقد عطف الفعل (وجدتُ) بفاعله على الفعل المتقدم عليه والذي هو من سنخه تماما وتوكيد للفعل والفاعل على حد سواء ، وان كان الابلغ والامضى هو توكيد الفاعل وليس الفعل ، فتجدد اظهار ذاته في صورة جديدة يتقدم بها امام الملك في مشهد مختلف عن المشهد الاول . المشهد الاول كان في صدد تحديد نظام الحكم كما اسلفنا ، والمشهد الثاني في بيان اعتقادات المجتمع الذي شاهده .

فبذلك يظهر لنا ملاحظاته التي سجلها وفي الوقت ذاته يظهر زوايا شخصيته وابعادها الثقافية ، فهو محلل سياسي ، ومحلل اقتصادي من جهة اخرى ، ومحلل ديني من جهة ثالثة ، فبذلك عرض لشخصيته اكثر مما هو عرض للأفكار والمضامين التي يريد ان يطرحها .

الاستقراء :

يعد الاستقراء واحدا من اهم مناهج المعرفة ، وهو كل استدلال يسير من الخاص الى العام ، وبهذا يشمل الدليل الاستقرائي الاستنتاج العلمي القائم على اساس الملاحظة ، والهدهد اعتمد على الاستقراء العام او التام ، ويقسم الاستقراء على قسمين رئيسيين :

الاستقراء التام : وهو ما يفيد نتائج قطعية اذ يكون بمثابة مسح تام لكل مصاديق الموضوع المراد تحصيل نتائجه .

الاستقراء الجزئي : وهو الاستقراء الذي يكون على فحص بعض مصاديق الموضوع ومن ثم اطلاق حكم على جميع مصاديقه بحسب النتائج المتحصلة من الفحص الجزئي [١٥] .

ولو تتبعنا خطاب الهدهد الذي

وجهه الى النبي سليمان (عليه السلام) لوجدنا انه أسَّس خطابه على الاستقراء التام لما تحدَّث عنه من ظواهر دينية ، وسياسية واجتماعية وعمرانية ، وهذا ما يمكن ان نتبينه من المعطيات اللغوية الآتية :

«أحطت» : وتعني الاستقراء التام ، فهذه العبارة تعني - كما أسلفنا - تحصيله المعرفة التامة لما يتكلم به ، فبطبيعة الفعل (أحاط)[١٧] يعني الاستقراء التام لموضوع المعرفة الذي يدور حوله فعل الاحاطة فيلزم منه الاستقراء التام لا سيما انه اراد بقوله «بما لم تحط به»[١٨] ، فقد ارتكز هنا على مقياس معرفة الأشياء فقد عبَّر عن موضوع الاحاطة بالاسم الموصول (ما) وهو يحمل وصفا عاما عن الشيء دون الدخول في جزئياته ، فهو بذلك اي - الاسم الموصول- يختزل ذلك الشيء في صورة مصغرة بنظر الواصف غيرانها تحمل نظرة إحاطة والمام ، ثم في قوله (لم تحط به) نجد انه على دراية بتلك المعرفة أنها خفيت على النبي سليمان (عليه السلام)، وهذا ما يلزم منه ان يكون قد استقرأ موضوع المعرفة استقراء تاما في ذاته من جهة ، وفي عدم معرفة النبي به من جهة اخرى ، فعدم احاطة النبي متوقف على عدم الاحاطة بذلك الشيء والا كيف علم ، وكيف استطاع ان يقطع ويحكم انه لم يكن سليمان(عليه السلام) يعلم بموضوع الاحاطة الذي يتحدث عنه .

في قوله تعالى «تملكهم» ففي هذه العبارة يشعر المتلقي بأنه قام بمسح تام لنظام الحكم في المجتمع وخضوع الافراد جميعا لهذا النظام ، ومسح جميع النواحي والاطراف ومحيط هذه المملكة والقطع انها خاضعة كلها لحكم سبأ غير متمردة عليها .

من كل شيء : فقد اشعرت لفظة (كل) هنا بانه يصف وصفا دقيقا لما تتمتع به هذه المملكة من خيرات ونعم ومصادر للطاقة والقوة ، اذ لا يمكن ان يقطع بذلك دون ان يجري مسحا عاما لمصادر قوة هذه المملكة .

وفي قوله تعالى «ووجدتها وقومها يسجدون...» : ايضا نجد وصفا دقيقا قائما على الاستقراء التام للنظام الديني الذي يحكم هذا المجتمع ، وهو عبادة الشمس ، ووصف المجتمع وصفا عاما بأنهم يسجدون للشمس ، ولم يستثني فئة منها .

وفي قوله تعالى «فزين لهم الشيطان» : اعتمد في خطابه على ضمير الجمع والتراكيب المؤدية لمعاني الجمع في خطابه ثم لم يتبعه باي استثناء ، وهذا كله يشعر بالاستقراء التام .

القطع واليقين :

تتفاوت الاحكام الصادرة نتيجة لنشاط العقل بحسب درجة القطع فيها ، والقطع بمعنى الجزم ،إذ يكون اليقين في أعلى درجة بنسبة ١٠٠٪ . فاليقين هو الاعتقاد بالأشياء التي تدرك بالعقل ويبرهن عليها المتمثل بالاطمئنان.

والظن: هو تجويز أمرين أحدهما أظهر من الآخر ، وهو خلاف اليقين ويستعمل بمعنى اليقين إن كان ظنا راجحا بأدلة وقرائن وتتراوح نسبة الظن بين (٥١-٩٩) .

وأخيرا الشك: وهو تجويز أمرين لا مزية لاحدهما على الآخر وهي مرتبة تتساوى قبلها الاحتمالات تساويا تاما ، إذ تتساوى فيه نسبة المعرفة بين الحكم وعدمه وهذا ما يثبته علم المنطق والعلوم العقلية .

وفي خطاب الهدهد للنبي سليمان(عليه السلام) نجد حالة القطع واليقين بما صدر من أحكام وأوصاف من الهدهد حتى أنه وصف الخبر الذي جاء به بانه «نبأ يقين» .

وهذا ما يضفي على خطابه صفة الرصانة على كلامه وخطابه ، وهذا ما يتبين من العلامات التي اتسم بها خطابه وهي :

لم يتضمن خطابه الفاظ الشك مثل (شككت ، أو أشك) بل تضمن ألفاظ القطع واليقين ، أي أنه أخبر بشكل كامل وتام دون أي شكوك ، فقال : «نبأ يقين» أي خبر صادق ليس فيه احتمال للكذب بل هو صادق تماما في هذا الخبر .

لم يتضمن خطابه ألفاظ الظن والاحتمال مثل (ربما ، قد) التي تفيد الاحتمال ، ومثل ذلك من الالفاظ بنقل الخبر من جهة غيره ، فلم يقل : قالوا ، أو قيل لي ، أو سمعت أو حدثني ، وإنما كانت كل الفاظه تدل على التثبت والفحص الشخصي ، والجهد في تحصيل المعرفة فقد أسند كل الأفعال إليه بضمير الذات الدال عليها .

استعمال الفعل (وجدتُ) الذي يدل على القطع واليقين الذي لا شك فيه في تحصيل المعرفة ، فلو قال : (رأيت) لدخل عنصر الاحتمال في اشتباه وزيغ

إذ من المؤكد أن واسطة النظر قابلة للخطأ في كثير من الأحيان وكذلك لم يقل «سمعت» والسمع محدود ويمكن ان تتشابه عليه الأصوات ؛ لذلك عبر بالفعل (وجدت) الذي أفاد القطع واليقين بما يخبر عنه فقد ذكر هذا الفعل مرتين لحاجة منه في بيان قطع ما يقوله .

الاسهاب في تفصيل الخبر : فقد فصل الهدهد الخبر تفصيلا دقيقا ولم يسبقها بنحو من الاجمال مع قصر عباراته والاسهاب يعني الاكثار فمن ((أكثر الكلام فهو مسهَب بفتح الهاء ولا يقال بكسر الهاء وهو نادر))[١٩] ((والمسهب الغالب المكثر في عطائه))[٢٠] ، كما ان الاسهاب يعني بسيط الكلام مع قلة الفائدة والهدهد اتقن سبك عباراته ووصفها حتى جاء على تفصيل دقيق لما اراد ان يقول : فقد وصف الحاكمة بأنها امرأة ووصف نظام الحكم أنه قائم على الملكية ووصف المقدرات الاقتصادية لهذه المملكة ثم بين العرش العظيم الذي تملكه ملكه سبأ ، ومن بعد ذلك ذهب إلى بيان النظام الديني وعقيدة هذه المملكة والآلهة التي يعبدونها ، والعبادة الجماعية وتعلق المجتمع بالآلهة وعبادتها وغير ذلك من الأوصاف الدقيقة لما راه ووجده وهذا يشعر بالقطع واليقين لما يقول ولما ينقل من أخبار .

الخاتمة :

بعد هذه الدراسة المتواضعة لواحد من مشاهد القران الكريم الذي تناول شخصية الهدهد في خطابه الذي وجهه الى النبي سليمان (عليه السلام) لابد لنا من سرد النتائج التي توصل لها هذا البحث وهي :

١-ان النتائج التي يقدمها التحليل اللغوي للنص بصورة عامة والقران الكريم بصورة خاصة لا تقل أهمية عن النتائج التي يقدمها منهج التفسير أو منهج التأويل ولا يمكن تجاهلها.

٢- ان البحث اللغوي هو الاساس الذي لابد ان يُحتكم اليه بين باقي فروع العلم والمعرفة في عملية تفسير القران فهو الحاكم بين هذه العلوم .

٣-لقد توصل البحث الى معان محتملة وممكنة بل مقبولة لشخصية الهدهد وطبيعة الحوار بينه وبين النبي سليمان(عليه السلام)، لم نجدها في سائر كتب التفاسير وهذا ما يدل

على أمرين :

الاول: ضعف اعتماد المفسرين على الجانب اللغوي والادبي في تفسير النص القرآني .

الثاني: خطورة النتائج التي يخرج بها التحليل اللغوي لهذا النص المقدس ودقتها ، فهي في الغالب تستوحى من النص ذاته ولا تعتمد على المصادر الخارجة عن النص فلا يكون في نتائجها تقويل للنص بما لم يقل به.

والحمد لله رب العالمين

الهوامش :

١-لسان العرب : ابن منظور ، مادة (فسر) : ٥/ ٥٥

٢-مقاييس اللغة : ابن فارس ، مادة (فسر) : ٤/ ٥٠٤

٣-التعريفات : الجرجاني ، ٥

٤-الاتقان : السيوطي ، ٤/ ٤٦٢

٥-التفسير والمفسرون : ٨١ ، وينظر : الخطاب التفسيري : ضمير لفتة ، ٤٩

٦-كتاب جمهرة اللغة ، ابن دريد ١ /

٧-منهج التحليل اللغوي في النقد الادبي :١ ، د سمير ستيتة ، دائرة اللغة العربية وآدابها ، جامعة اليرموك ، إربد ، الاردن .

٨-لسان العرب ، ابن منظور : ٥/ ١ ، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٣ م

٩-شرح ابن عقيل : محمد محيي الدين ، ٢٢

١٠-الاسس المنطقية للاستقراء : محمد باقر الصدر ، ١٣

١١-شرح ابن عقيل ، ٢٢

١٢-التحرير والتنوير : محمد الطاهر : ١٩/ ٥٠

١٣-المصدر نفسه ١٩/ ٥٠

١٤-الكشاف ، الزمخشري : ٣/ ١١٤

١٥-من بلاغة القران : احمد بدوي ، ١٨٣

١٦-شرح ابن عقيل :٢٢

١٧-المصدر نفسه :٢٢

١٨-الاسس المنطقية للاستقراء ، ١٣

١٩-شرح ابن عقيل :٢٣

٢٠-الاسس المنطقية للاستقراء ، ١٣

المصادر والمراجع :

القران الكريم
الاسس المنطقية للاستقراء : محمد باقر ، ط١، دار المعارف ، بيروت –لبنان، ١٩٨٦ م.
الاتقان في علوم القران : عبد الرحمن بن ابي بكر جلال الدين السيوطي ، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم ، د.ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ م .
التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور ، د.ط ، د.ت .
التفسير والمفسرون ، محمد حسين الذهبي ، ط١ ، دار الكتب الحديثة ، ١٩٦١ .
التعريفات : ابو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف ، د.ط ، الدار التونسية ، ٨١٦.
الخطاب التفسيري : ضمير لفتة حسين ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ٢٠١٣ .
شرح بن عقيل : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع ، القاهرة ، ٢٠٠٩ م .
الكشاف : ابو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، دار الفكر ، ٤٦٧- ٥٣٨ هـ .
لسان العرب : ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي ، د.ط ، دار بيروت ، بيروت- لبنان ، ١٩٦٨م .
مقاييس اللغة : احمد بن فارس بن زكريا القزويني ، تحقيق : عبد السلام هارون ، د.ط ، دار الفكر ، ١٣٩٩ ، ١٩٧٩ .
من بلاغة القران : أحمد أحمد بدوي ، د.ط ، نهضة مصر ، د.ت

Abstract

The research deals with the analysis of the Qur'anic text through the use of linguistic data، and presents the method of text analysis as a method independent of the methodological interpretation and interpretation of the mechanisms adopted by the goals and interests. The research highlighted a scene from the scenes of the Koran، which mentioned the Hoopoe in his story With the Prophet peace be upon him.

The study aims to clarify hidden angles in the Holy Quran، which were not addressed in the interpretation of the books of interpretation، which would illuminate some of the horizons of understanding the Koran

As well as it aims to demonstrate the ability of language to analyze the texts and the significance of the words that were spoken in a long time from our time and questioned to know the circumstances of the talk from the time and place and conditions of each of the recipient in the text.

The study relies on the method of linguistic analysis exclusively، away from the sciences of the Koran، and interpretive novels، it stands at every linguistic phenomenon in the levels of the language and analyzed and indicate the conditions of speech and the implications of the text and the conditions of the father and the recipient.